مجلة
كلية الآداب

مجلة علمية محكمة فصلية

العدد (٨٦) صيف ٢٠١٨

الأردن، ط١، ٢٠٠٧م.
- شرح شذور الذهب، ابن هشام، تحقيق ح الفاخوري، دار الجيل، بيروت، لبنان، ط١، ١٤٠٨هـ.
- طبقات النحويين واللغويين، الزبيدي، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف، مصر، ط٢، (د.ت).
- العربية دراسات في اللهجات والأساليب، يوهان فك، ترجمة: رمضان عبد التواب، مطبعة الخانجي، القاهرة، مصر، ط١، ١٩٨٠م.
- العربية والفكر النحوي، ممدوح عبد الرحمن، دار المعرفة الجامعية، مصر، ١، ١٩٩٩ م.
- القاعدة النحوية تحليل ونقد، د. محمود حسن الجاسم، دار الفكر، بيروت، ٢٠٠٨م..
- القياس في النحو، منى إلياس، دار الفكر المعاصر، دمشق، ط١، ١٩٨٥م.
- لغة الشعر دراسة في الضرورة الشعرية، محمد حماسة عبد اللطيف، دار الشروق، ١٩٩٦م.
- اللغة والتفسير والتواصل، مصطفى ناصف، المجلس الوطني للثقافة والفنون، الكويت١٩٩٥م.
- اللغة والنحو بين القديم والحديث، عباس حسن، دار المعارف بمصر، الطبعة الثانية، (د.ت).
- مدخل إلى تاريخ النحو العربي، على أبو المكارم، دار غريب، القاهرة، مصر، ٢٠٠٨م.
- المزهر، السيوطي، ضبطه وصححه فؤاد علي منصور، توزيع مكتبة الباز، مكة المكرمة، ط٢، ١٤١٨هـ
- المقرب ومعه مثل المقرب، ابن عصفور، تحقيق عادل عبد الموجود وعلي محمد معوض، دار الكتب العلمية، ط١، ، ١٤١٨هـ.
- المنصف، ابن جني، تحقيق وتعليق محمد عبد القادر أحمد عطا، دار الكتب العلمية ط١، ، ١٤١٨هـ.
- نظرية الأصل، والفرع في النحو العربي، حسن خميس الملخ، دار الشروق، عمان، الأردن، ٢٠٠٧م.

للغة وظواهرها كل السمات اللغوية وغير اللغوية التي قامت عليها السليقة التي اتخذوها أنموذجًا.

- صنع النظام النحوي- الذي كانت منطلقاته أصولاً لاستنتاجه- نموذجًا لغويًا مثاليًا، استطاع أن يوحد اللهجات العربية داخله.
- لم يقف تفكير النحويين القدامي عند محاولة استنباط القوانين العامة، بل جاوزت طموحاتهم ذلك لتصل إلى تأكيد قدرة هذه القوانين على توليد كلمات وجمل مماثلة للمستعمل، وعلى افتراض كلمات جديدة غير مستعملة.
- من خصائص النظام النحوي الذي أقامه النحاة الأوائل الإحاطة والشمول؛ تأدية لمهمة هذا النظام، المتمثلة في ضبط اللغة، وإدراك معاني التراكيب بعد وصفها وتحليلها؛ وصولاً للقياس عليها ومحاكاتها.
- مكن الشمول المبني على الاستقصاء قواعد العربية أن تكون قادرة من تفسير نصوصها الأولية التي صدرت عنها، واحتواء مستويات متعددة من اللغة، مع قدرة عالية في توجيه الجزئيات الخارجة عن المطرد من ظواهر اللغة.

المراجع

- الأبعاد المعنوية في الوظائف النحوية، أسامة كامل جرادات، دار الفرقان.
- الأصول، ابن السراج، تحقيق عبد الحسين الفتلي، مؤسسة الرسالة.
- الإمتاع والمؤانسة، أبو حيان التوحيدي، ت (أحمد أمين وأحمد الزين) دار مكتبة الحياة، بيروت، لبنان، ط٢، ١٩٨٦م.
- بين النحو العربي واللسانيات الحديثة، عبد الحميد عبد الواحد، مجلة جيل الدراسات الأدبية والفكرية، ع٤، ديسمبر/كانون أول ٢٠١٤م.
- التفكير العلمي في النحو العربي، د. حسن خميس الملخ، دار الشروق، عمان، الأردن، ط١، ٢٠٠٧م.
- التكملة، الفارسي، تحقيق ودراسة د. كاظم بحر المرجان، عالم الكتب، بيروت، لبنان، ط٢، ١٩٩٩م.
- رؤى لسانية في نظرية النحو العربي، الدكتور حسن في خميس الملخ، دار الشروق، عمان،

مجلة الكلية الآداب: فصلية- علمية- محكمة تعني بنشر الأبحاث العلمية في مجالات الدراسة الإنسانية اللغوية والأدبية والتاريخية والجغرافية والفلسفية والاجتماعية والنفسية والإعلامية وترحب المجلة بالإسهامات العلمية للسادة أعضاء هيئة التدريس والباحثين من العالمين العربي والإسلامي لإثراء المجلة.

قواعد النشر:-

١- تقبل المجلة البحوث باللغات العربية والإنجليزية والفرنسية.
٢- يقر البحث كتابة أن بحثه لم يسبق نشره ولم يرسل لجهة أخري للنشر.
٣- يخطر الباحث بخطاب رسمي بقبول النشر في حالة إجازة البحث للنشر.
٤- تعد الخرائط والرسوم البيانية وغيرها من الإيضاحات من قبل الباحث بطريقة تجعلها قابلة للطبع.
٥- تعبر البحوث المنشورة عن رأي اصحابها فقط.
٦- أصول الأعمال المقدمة للمجلة لا ترد حتى في حالة عدم قبولها للنشر.
٧- يحصل الباحث على نسخة واحدة من عدد المجلة المنشور بها + C.D + عشر مستلات من البحث.
٨- الحجم الأمثل المقبول في حدود (٣٠ صفحة) يسدد الباحث المصري ٦٠٠ جنيها وخمسة عشر جنيهاً عن كل صفحة زائدة، ويسدد الباحث العربي والأجنبي ٣٠٠ دولار وثلاثة دولار عن كل صفحة زائدة.
٩- يسلم البحث مطبوعاً من أصل وصورتين + C.D على أن يكون مجموعاً ببنط ١٤، وأن يكون مقاس الصفحة 12x19سم.
١٠- يكتب عنوان البحث واسم الباحث ودرجته العلمية وجهة عمله في أول صفحة من البحث.
١١- تكتب المراجع والهوامش في نهاية البحث، مع الالتزام بالأسس العلمية للتوثيق.

الخاتمة

يمكنني من خلال البحث الخروج بالنتائج التالية:

- تضافرت في بداية قيام الدرس النحوي عوامل عدة، كانت بمجموعها أبعد أثرًا وأعمق تأثيرًا في نشأة النحو من الأحداث الفردية التي امتلأت بها كتب النحو.
- مجموع العوامل الدينية والاجتماعية والفكرية هي الدافع الأساس والأشمل لقيام الدراسات النحوية واستمرارها.
- وضع النحويون نصب أعينهم المستوى اللغوي الفصيح الممثل للنمط الأعلى من اللغة، والمتمثل بما هو مشترك بين الجماعة اللغوية التي لها صفة الاستقلال زمانًا ومكانًا عن غيرها.
- الفكرة الموجهة للنحويين ولاسيما المحققين هي إدراك اللغة كما هي في واقعها على ألسنة أهلها الذين ينطقون بها على سجيتهم.
- الأصول النحوية ليست في أصلها إلا عادات كلامية، أو ظواهر لغوية خاصة يخضع لها النحو، ويفسر بها.
- وصف اللغة وتعليمها غايتان لا تنفكان عن دراسة العربية، وإضفاء العلمية على هذه الدراسة.
- ليس أدل على قيام النظام النحوي للغة العرب على الاستقراء مِنْ جعل النحويين النحو هو الاستقراء نفسه.
- النحويون في مدراستهم اللغة المحتج بها لم يقفوا عند مجرد الجمع والتكثّر، بل انصرفوا- بعد أن اطمأنوا إلى كفاية ما جمعوه- إلى تصنيفه والموازنة بين تراكيبه، والمقابلة بين استعمالاته؛ ليصلوا في نهاية الأمر إلى استخلاص واكتشاف الأصول التي صدر عنها العرب أصحاب السليقة الفصحى.
- أصول النحو: السماع والقياس والتعليل عند نحاة العرب مزجت بين الوصفية والمعيارية، حيث تتمثل الوصفية في السماع، وتصنيف المادة اللغوية المسموعة، في حين تتمثل المعيارية في القياس والتعليل.
- أدرك النحويون في مرحلة متأخره تقتضيها طبيعة تكون العلوم وتطورها، وبعد معالجتهم

١٢- يرفق ملخصان للبحث باللغتين العربية والإنجليزية على ألا يتجاوز حجم الملخص صفحة واحدة.

١٣- تنشر المجلة ملخصات الرسائل العلمية العربية والأجنبية.

١٤- تنشر المجلة بحوث معاوني هيئة التدريس كمتطلب للحصول على درجتي الماجستير والدكتوراه.

١٥- تنشر المجلة بحوث أعضاء هيئة التدريس بدرجة أستاذ وفق القيمة الفعلية للطباعة.

١٦- توجه جميع المكاتبات أو الاستفسارات الخاصة بالنشر إلى رئيس تحرير المجلة على العنوان التالي.

كلية الآداب – جامعة الزقازيق

تليفون : **٠٥٥/٢٣٤٣٨٢١**

http://www.Arts@ Zu.edu.eg

تطبيق هذه القوانين، وما يخرج عن مجال تطبيقها »[٣٨].

ولو أمعنا النظر في الأبواب النحوية، التي كانت أوضح اتجاهات تمثيل النظام النحوي العربي، وأوسعها، لوجدنا- على وجه المثال لا الحصر- ابن هشام يحد المفعول المطلق بأنه « المصدر الفضلة المؤكد لعاملة أو المبين لنوعه أو عدده»[٣٩].

ومن الواضح هنا أنه يفصّل القول عن طبيعة تركيب لغوي خاص هو (المفعول المطلق)، ببابٍ نحوي خاص، تمثيلًا لوظيفته النحوية، ولغاية عامة، هي وصف التراكيب اللغوية للعربية.

ويمكن أن نلحظ في حد ابن هشام للمفعول المطلق جوانب عدة، اشتمل عليها تعريفه، فهو وإن غلبت عليه سمة التعليم والتلقين، إلا أنه- دون شك- قائم على رصيد واسع من التحليل، والدراسة، ومطالعة كتب من سبقوه، ومدارستها، وبالعموم فإنه « من خلال الوقوف على ممارسات العرب القدامى في الأبواب النحوية، يتبين بما لا يدع مجالاً للشك أن النظرية النحوية العربية قد وسعت ثلاثة أبعاد تحليلية: التركيبي، والدلالي، والتداولي، الأمر الذي يكفل لها نوعًا من الشمول، ويضفي عليها طابع التجدد، والمرونة، وعدم التخلف »[٤٠].

لقد مكن هذا الشمول المبني على الاستقصاء قواعد العربية قادرة من تفسير نصوصها الأولية التي صدرت عنها، واحتواء مستويات متعددة من اللغة، مع قدرة عالية في توجيه الجزئيات الخارجة عن المطرد من ظواهر اللغة التي أمكنهم ملاحظتها وحصرها، ووضع قواعد تفسيرها ضمن النظام الأعم والأشمل للغة.

ولعلنا بعد هذا كله تستطيع أن تقرر أن «في قدرة قواعد النحو العربي على تفسير الاستعمالات العادية والفنية، وتقديم المسوغات لغير المألوف في الاستعمالات نظريةً شاملةً، لا تستوعب نصًا واحدًا كاملاً فحسب، بل إنها تستوعب تراثًا ضخمًا، تعجز أمامه العديد من النظريات الحديثة مجتمعة في أن تستوعب هذا التراث وتصنع له الضوابط اللازمة »[٤١].

وهذا يعكس فكرًا لغويًا عربيًا يتصف بالشمول، وذهنًا عربيًا قادرًا على التحليل والتنظير.

---

(٣٨) بين النحو العربي واللسانيات الحديثة، عبد الحميد عبد الواحد، مجلة الدراسات الأدبية والفكرية، ع٤، ص ٩.

(٣٩) شرح شذور الذهب، ابن هشام، تحقيق ح الفاخوري، دار الجيل ١٤١٨، ص ٢٢٥.

(٤٠) الأبعاد المعنوية، ١٣٥.

(٤١) العربية والفكر النحوي، ٥٨.

مجلة كلية

مجلة كلية الآداب – جامعة الزقازيق

صدر العدد الأول ٨٦ – ١٩٨٧م

هيئة التحرير

الأستاذ الدكتور
عماد مخيمر
عميد الكلية
رئيس مجلس الإدارة

الأستاذ الدكتور
هناء زكريا على
وكيل الكلية للدراسات العليا والبحوث
نائب رئيس مجلس الإدارة

الأستاذ الدكتور
فريدة محمد النجدى
رئيس التحرير

الأستاذ الدكتور
محمد عبد الفتاح عوض
سكرتير التحرير

مستشارو التحرير

أ.د . عثمان محمد عثمان
أ.د . فريدة محمد النجدي
أ.د . طارق زكريا علي
أ.د . حسن محمد حماد
أ.د. إبراهيم المسلمى

أ.د . أحمد صلاح الدين
أ.د . عبد الرحمن بشير
أ.د . إبراهيم عبد الرحمن
أ.د. عواطف صالح

والمكان؛ ليعطوها صفة الثبات والدوام؛ لثقتهم من أن برهانها قام على مرتكزات أصيلة راسخة، أساسها سماع واعٍ، وقياس دقيق واسع.

ولعل من نافلة القول أن نؤكد أن هذه الغاية العظيمة تتناسب مع الفكرة الأصلية التي انطلقوا منها، وهي الحفاظ على نص القرآن الكريم، من غير أن يتعرض لاحتمال التطور في ألفاظه وجمله.

لقد كان من خصائص النظام النحوي الذي أقامه النحاة الأوائل الإحاطة والشمول؛ تأدية لمهمة هذا النظام، المتمثلة في ضبط اللغة، وإدراك معاني التراكيب بعد وصفها وتحليلها؛ وصولاً للقياس عليها ومحاكاتها.

لذا نجد عند السيرافي أن «معاني النحو منقسمة بين حركات اللفظ وسكناته، وبين وضع الحروف في مواضعها المقتضية لها، وبين تأليف الكلام بالتقديم والتأخير، وتوخي الصواب في ذلك، وتجنب الخطأ من ذلك، وإن زاغ شيء من هذا النعت فإنه لا يخلو من أن يكون سابقًا بالاستعمال إلى النادر، والتأويل البعيد، أو مردود لخروجه عن عادة القوم الجارية على فطرتهم »[٣٦].

وإذا فهم النحو على أنه هذا، لم يكن هناك مجال لأن يندَّ عنه شيء من اللغة إلا ويرد إليه، وهو أيضًا قادر على تفسير تراكيب العربية، وضبطها، وفق قوانين كلية تندرج تحتها العديد من القواعد الفرعية الخاصة لكل تراكيب تجمعها أو تميزها ظاهرة يمكن ملاحظتها، وبناء عليه فقد كانت « اتجاهات تشكيل مادة النحو العربي بعد تحليل الموادّ المستقراة أربعة، تبرز في التجزية النحوية من عهد سيبويه قبيل انتهاء القرن الهجري الثاني، إلى عهد ابن السراج، في أول القرن الرابع الهجري، الذي عقَّل النحو بأصوله، هذه الاتجاهات هي نحو المسائل، ونحو الأبواب، ونحو الأحكام، ونحو الظواهر »[٣٧] وهذه الاتجاهات يفسرها نص السيرافي السابق، الذي أجمل فيه معاني النحو.

على أنه يجب التنبه إلى أن هذه الاتجاهات وإن كان ظاهر تقسيمها مبدأً تعليميًا إلا أنها قامت على «رصد الظاهرة، ووصفها، والبحث عن الخصائص المشتركة المتعلقة بها، وما يقابلها بغيرها، لغاية الوصول في آخر الأمر إلى استنباط القوانين العامة أو الشاملة، والتثبت من صحة

([٣٦]) الامتاع والمؤانسة، أبوحيان التوحيدي، ت(أحمد أمين وأحمد الزين) مكتبة الحياة، بيروت، ١/ ١٢١.

([٣٧]) التفكير العلمي في النحو العربي، د. حسن خميس الملخ، دار الشروق، ص ١٥٠ وما بعدها، يشيء من التصرف.

الحسن الأخفش يجيز أن تبني على ما بنت العرب وعلى أي مثال سألته، إذا قلت له ابن لي من كذا مِثْلَ كذا، وإن لم يكن من أمثلة العرب، ويقول: إنما سألتني أن أمثل لك، فمسألتك ليست بخطأ، وتمثيلي عليها صواب »[٣١].

ورأي الأخفش وإن خالف فيه الخليل وسيبويه؛ لما يفهم من ظاهره أنه إدخال لغير العربي في كلام العرب « وما لم يكن من كلام العرب، فليس له معنىً في كلامهم »[٣٢] يفهم منه قوة النظام القائم على القياس على ما جاء عن العرب، حتى إن قوانينه لتسع أن يُجْرى عليها ما لم يكن عربيًا، إن قصد منه القياس، وامتحان صدق هذا النظام، وكفاءته، ف« المنهجية تتصل بتنظيم العمل في الدراسة العلمية للغة بشكل معين، ثم الثبات على الأسس التي تعتمد عليها، وتطبيقها لا على مستوى واحد من مستويات الدراسة اللغوية، وإنما على مستويات الدراسة بأسرها »[٣٣].

ولعل من المهم هنا أن نلحظ أن تفكير النحويين القدامي لم يقف عند محاولة استنباط القوانين العامة، بل جاوزت طموحاتهم ذلك لتصل إلى تأكيد قدرة هذه القوانين على «توليد كلمات وجمل مماثلة للمستعمل، وعلى افتراض كلمات جديدة غير مستعملة، وبهذا تتجاوز النظرية النحوية صفة (الزمانية) وتكتسب صفة (التجدد)، وتبقى صحيحة، ما دامت قادرة على تجاوز الماضي والحاضر إلى المستقبل »[٣٤].

وهنا نعود لنقرر ما سبق أن أشرنا إليه من أن العربية درست انطلاقًا من مرتكز ديني، يؤمن بأن هذه اللغة لها صفة البقاء والتجدد، ولها القدرة على أن تستوعب متطلبات رحلتها الزمانية والمكانية مع الدين الإسلامي الذي ارتضى الله– سبحانه وتعالى– أن تكون ها لسانه وآلة بيانه؛ لذا دُرست العربية «وفق المنهج الذي ارتضاه النحويون لتلبية الرغبة التي ينزع إليها أفراد الجماعة اللغوية، بنوازع مختلفة من الدين والثقافة، والحضارة، وغير ذلك مما يكون النفسية الاجتماعية »[٣٥].

لقد استطاع النحويون أن يجردوا القاعدة النحوية التي أقاموا عليها لغتهم من حدود الزمان

(٣١) المنصف، ١٧٥.

(٣٢) السابق بنفس الصفحة.

(٣٣) العربية والفكر النحوي، ٤١.

(٣٤) رؤى لسانية، ٧٧.

(٣٥) لغة الشعر، محمد حماسة عبد اللطيف، دار الشروق،١٩٩٦م،ص ٥٧.

افتتاحية العدد

يأتي العدد الجديد من مجلة كلية الآداب – جامعة الزقازيق رقم ٨٦ لصيف ٢٠١٨ ثرياً في أبحاثه وأفكاره المتنوعة التي تغطي جانباً كبيراً من الدراسات الإنسانية.

يحتوي هذا العدد على تسعة أبحاث أولها في مجال الدراسات الإسلامية بعنوان: "الخصائص الدلالية للتعبير القرآني في تصوير أفاظ وتراكيب الهلاك" للدكتورة/ أسام خضير خليل وهو يبين دلالة الألفاظ والتركيب الدالة على الهلاك التي وردت في القرآن الكريم بأشكال متنوعة برهنت من خلالها الباحثة على براعة القرآن الكريم في تصوير الألفاظ والتراكيب بما يتلاءم والسياق القرآني.

وللغة العربية نصيب ببحث للدكتور/ محمد بن رده بن عطية الله الغمري وعنوانه "النظام النحوي للعربية من الاستقرار إلى الشمول والثبات" وتهدف الدراسة إلى إثبات أن مجموع العوامل الدينية والاجتماعية والفكرية هي الدافع الأساسي والأشمل لقيام الدراسات النحوية، وأن النحو هو أحد العلوم التي نفهم من خلالها النص وتخدمه، وجاء بحث اللغة الإنجليزية للدكتور/ صالح الزهراني تحت عنوان "تأثير الصفات في لغة الزهراني العربية" والتي تختلف حسب اشتقاقها، فمنها المشتقة من كلمات آخري مثل الأفعال والأسماء.

وتتوج الدراسات في مجال اللغة الفرنسية ببحثين أولهما للدكتورة/ سحر رجاء وعنوانه "البحث عن الترجمة المفقودة، الترجمة المرئية في خدمة الترجمة المكتوبة" وماهية العلاقة بينهما. وتطبق الدراسة على الخطاب السياسي خاصة على خطابين بين لرئيس السلطة الفلسطينية محمود عباس واللذان يدوران حول القضية الفلسطينية ولكنهما يختلفان باختلاف المناسبة أو السياق الذي قيلا فيه.

أما البحث الثاني فهو للدكتورة/ نيللي عبد الخالق الحداد تحت عنوان "اللجوء إلى أحضان الطبيعة من خلال رواية رحل السياج للكاتب جون تواسار" والذي يركز على ارتباط الإنسان الوثيق بالطبيعة من خلال الرواية محل الدراسة، واتبعت الدراسة منهج التحليل الموضوعي القائم على العناصر الأربعة لباسلارد وهي: الأرض والماء والهواء والنار.

وفي مجال الجغرافيا، يأتي بحث الدكتورة/ منال عبد المحسن رمضان وعنوانه: "إنتاج عسل النحل في مركز المنصورة" دراسة جغرافية والذي يعد محاولة لتحديد البعد المكاني في تطوير وتنمية مشروعات تربية عسل النحل في مكز المنصورة كأحد المشروعات الإنتاجية المهمة وأسست الدراسة على المنهج الاقليمي.

أما الدراسات الإعلامية فلها نصيب ببحثين أولهما في مجال العلاقات العامة محمد على أبو العلا قنديل وعنوانه" استراتيجيات التفاوض في الأزمات الدولية" أزمة سد النهضة نموذجاً، ويهدف إلى التعرف على أهمية الاستراتيجيات التفاوضية المستخدمة في حل مشكلة الصراع القائم بين الجانبين

المصري والأثيوبي حول مشكلة مياه النيل وبناء سد النهضة، واعتمدت الدراسة على منهج تحليل خطاب عدد من وسائل الإعلام المصرية في تناولها لقضية سد النهضة.

أما البحث الثاني فهو للدكتور عبد الملك بن عبد العزيز الشلهوب وعنوانه: "معوقات البحث الإعلامي لدى أعضاء هيئة التدريس في كليات وأقسام الإعلام في الجامعات السعودية" دراسة مسحية، وتركز الدراسة على دور البحث العلمي في قيادة الجامعات في المجالات العلمية والمعرفية من أجل التطوير والابتكار والارتقاء بالمستوى والقدرات العلمية والتقنية الوطنية.

وفي الدراسات التاريخية نجد بحث بعنوان: "تأثير الثقافات الصينية على الفن الصيني" للدكتور/ إبراهيم عبد العظيم أحمد والذي يرصد تأثير الفنون الصينية على العالم، ونهوضه عن طريق إدخال العديد من الألوان الفنية الصينية للعالم الإسلامي مثل رسم الصور الشخصية والزخرفية واستخدام الأشكال الهندسية والأختام المربعة ودورها في التنمية المحلية واتبعت الدراسة المنهج التاريخي الوصفي.

وفي مجال علم الاجتماع نجد بحث الدكتورة/ صابرين جابر محمد بعنوان: "العوامل الاقتصادية الخاصة وعلاقتها بالإجرام (الفقر – البطالة)" والدي يتناول بالدراسة لدور الفقر والبطالة في دفع الفرد إلى الانحراف والإجرام واعتمدت الدراسة على المنهج الاستنباطي.

وبعد هذا العرض الموجز لمحتوي هذا العدد، لا يسعنا إلى أن نتوجه بخالص الشكر إلى السادة محكمي الأبحاث الواردة فيه، ونسال الله التوفيق والسداد للسادة الباحثين.

نائب رئيس مجلس الإدارة

أ.د/ هناء زكريا

وكيل الكلية للدراسات العليا والبحوث

بد أن يكون حاول به مذهبًا ونحا نحوا... »[٢٦].

ويقول ابن جني: «ويدلك على أن الفصيح من العرب قد يتكلم باللغة غيرها أقوى في القياس عنده منها، ما حدثنا به أبو علي رحمه الله قال: عن أبي بكر عن أبي العباس أن عمارة كان يقرأ: «ولا الليلُ سابقُ النهارَ» بالنصب، قال أبو العباس: فقلت له: ما أردت؟ فقال: أردت: «سابقٌ النهارَ» قال: فقلت: له فهلا قلته؟ قال: لو قلته لكان أوزن، فقوله: أوزن أي: أقوى وأمكن في النفس، أفلا تراه كيف جنح إلى لغة وغيرها أقوى في نفسه منها »[٢٧].

٢- أن النموذج الحاصل من ائتلاف اللهجات ومدارستها قادر على أن يتوافق مع كل ما ينتج عنه بالتعليم والدراسة، فيلحق بالفصيح الموضوع منه وله هذا النموذج، فما قيس على كلام العرب أصبح من كلامهم، لجريانه على قواعد كلامهم ومجارى قوانين لغتهم، وكان سيبويه والخليل يقولان ما قيس على كلام العرب فهو من كلامهم[٢٨].

ولدى ابن جني في الخصائص باب في أن ما قيس على كلام العرب فهو من كلام العرب.

ومما جاء فيه «هذا موضع شريف، وأكثر الناس يضعف عن احتماله لغموضه، ولطفه، والمنفعة به عامة، والتساند إليه مُقَوٍ مُجْدٍ، وقد نص أبو عثمان المازني عليه فقال: ما قيس على كلام العرب فهو من كلام العرب، ألا ترى أنك لم تسمع ولا غيرك اسم كل فاعل ولا مفعول؛ وإنما سمعت البعض فقست عليه غيره، فإذا سمعت: قام زيدٌ، أجزت: ظَرُف بشرٌ، وكَرُم خالد »[٢٩].

وقبول القياس لذلك إنما كان بعد تجريد قواعد التراكيب، واستواء النظرية النحوية.

ولم يقف أمر قبول المقيس على كلام العرب عند هذا الحد، بل جاوزه لما وافق قوانين العربية مما ليس بعربي، فكان الأمر فيه أن القياس يقبله، ولا يأباه؛ إذا التزم قوانين نظائره العربية فـ « إذا قلت طاب الخُشْكنان، فهذا من كلام العرب، لأنك بإعرابك إياه قد أدخلته كلام العرب »[٣٠].

وهذا يعني أن المقيس على كلام العرب يتبعه في الحكم والعمل، « قال أبو عثمان: وكان أبو

---

(٢٦) الأصول، ١/ ٥٧.

(٢٧) الخصائص، ١/ ١٢٥.

(٢٨) المنصف، ابن جني، تحقيق وتعليق محمد عبد القادر أحمد عطا، دار الكتب العلمية، ط١، ١٤١٨هـ،١/ ١٨٠.

(٢٩) الخصائص، ١/ ٣٥٧.

(٣٠) السابق، بنفس الصفحة.

المحتويات

الخصائص الدلالية للتعبير القرآني في تصوير ألفاظ وتراكيب الهلاك
أ.م.د/ أنسام خضير خليل ١

تأثير الثقافات الصينية على الفن الصيني من ق ٧ إلى ق ١٤ م
الباحث/ إبراهيم عبد العظيم إبراهيم..... ٣٩

العوامل الاقتصادية الخاصة وعلاقتها بالإجرام
د/ صابرين جابر محمد ٧١

النظام النحوي للعربية من الإستقراء إلى الشمول والثبات
د/ محمد بن ردة بن عطية العُمري ٨٥

استراتيجيات التفاوض في الأزمات الدولية "أزمة سد النهضة نموذجاً"
د/ محمد علي أبو العلا قنديل ١٠٣

انتاج عسل النحل في مركز المنصورة (دراسة جغرافية)
د/ منال عبد المحسن رمضان سعيد..... ١٦٧

معوقات البحث الإعلامي لدى أعضاء هيئة التدريس في كليات وأقسام الإعلام في الجامعات السعودية "دراسة مسحية"
د/ شيماء فتحي عبد الظاهر ٢٣٣

« A LA RECHERCHE DE LA TRADUCTION PERDUE: LA TRADUCTION-A-VUE AU SERVICE DE LA TRADUCTION ECRITE QUEL APPORT?»
Dr. Sahar Ragaa Ali.....1

Refuge au sein du monde élémentaire d'après "L'homme des haies"de Jean Loup Trassard.
Dr. Nelly Abd El-Khalek El-Haddad 57

Adjective inflection in Zahrani Spoken Arabic
Dr. Salih Alzahrani..... 83

فليس شيء مما يختلفون فيه- على قلته وخفته- إلا له من القياس وجه يؤخذ به، ولو كانت هذه اللغة حشوًا مكيلاً، وحَثوًا مهيلاً لكثر خلافها، وتعادت أوصافها، فجاء عنهم جر الفاعل، ورفع المضاف إليه... بل جاء عنهم الكلام سدًى غير مُحصَل، وغُفلاً من الإعراب، ولاستُغني بإرساله وإهماله عن إقامة إعرابه، والكُلَف الظاهرة بالمحاماة على طرد أحكامه »[٢٢].

فالاختلاف منقول عن العرب، واللغات عنهم موصوفة محفوظة، والمطرد هو المعتبر وعليه مناط الحكم، دون قدح فيما كان من الفصيح سواه، فاللغة بذلك شيء «اصطلحوا عليه، وترافدوا بخواطرهم ومواد حكمهم على عمله وترتيبه، وقسمة أنحائه، وتقديمهم أصوله، وإتباعهم إياها فروعه..»[٢٣].

الشمول والثبات

صنع النظام النحوي- الذي كانت منطلقاته أصولاً لاستنتاجه- نموذجًا لغويًا مثاليًا، استطاع أن يوحد اللهجات العربية داخله، من خلال:

١- أن شواهد هذا النظام كانت من لهجاته، فجاءت هذه الشواهد مؤيدة للهجات لا تتنكر لاختلافها، فأصبح يُردُّ إلى هذا النظام ما يشذ من المسموع، من خلال التأويل، أو التقدير، أو الحفظ، دون أن يقدح ذلك في صدق النظام ولا صحته.

بل بلغ الأمر بالنحويين أن يجدوا لكلام العرب وجوهًا عدة، وأعذارًا مقبولة في العدول - أحيانًا- عن وجه مطرد إلى وجه آخر مقبول، وإن لم يوافق المطرد.

يقول سيبويه: « وليس شيء يضطرون إليه إلا وهم يحاولون به وجهًا »[٢٤].

ويقول في موطن آخر « وليس بمستنكر في كلامهم أن يكون اللفظ واحدًا، والمعنى جميع، حتى قال بعضهم في الشعر من ذلك ما لا يستعمل في الكلام »[٢٥].

ويرى ابن السراج أن ما جاء مخالفًا لا يشك في خلافه، وهو مسموع ممن ترضى عربيته « فلا

(٢٢) الخصائص، ١/ ٢٤٣- ٢٤٤.
(٢٣) السابق، ١/ ٢٤٥.
(٢٤) الكتاب، ١/ ٣٢.
(٢٥) السابق، ١/ ٢٠٩.

«أحمل على الأكثر، وأسمي ما خالفني لغات»[١٩].

وعلى الرغم من ذلك لم تغب عن النحويين غايتهم الكبرى، لوضع نموذج لنظام هذه اللغة الشريفة، حتى إننا لا نصل إلى ابن جني إلا ونجده يرى النحو « انتحاء سمت كلام العرب في تصرفه، من إعراب وغيره، كالتثنية والجمع والتحقير والتكسير والإضافة والنسب والتركيب »[٢٠].

ووفق تصور ابن جني لم يعد النحو مقتصرًا على سمة الإعراب وحدها، بل أصبح شاملًا سمات العربية الأخرى كالعدد والتصغير... إلخ.

وبهذا يكون النحويون–في مرحلة متأخره تقتضيها طبيعة تكون العلوم وتطورها، وبعد معالجتهم اللغة وظواهرها– قد أدركوا كل السمات اللغوية وغير اللغوية، التي قامت عليها السليقة التي اتخذوها أنموذجًا « إن النحويين العرب، لاسيما المبكرين منهم، لم يقفوا قط عند وصف الأبعاد الشكلية لتراكيب اللغة، بل ضموا إلى هذا استكناهًا لأسرارها، وغوصًا وراء أعماقها، وكانت فكرة الموازنة والمقابلة بين التراكيب سائدة منتشرة في تحليلاتهم، فتمكنوا بذلك من التقريب بين المتباعدات الشكلية، وهم في رصدهم الأمين للسمات الشكلية، وتقريبهم للمتباعدات استنادًا إلى عمق التراكيب، ونسبة ما بينها أبرزوا شخصية اللغة، وذاتيتها التي لا تتغير أو تتلون نسبة ما بين عناصرها المفردة وتراكيبها، مع تحوّر الأشكال وتلون المظاهر»[٢١].

وحين نلاحظ أن النحويين القدامى كانوا يحرصون على الاطراد، فإن ذلك لا يعني أنهم كانوا انتقائيين في جمعهم اللغة، بل كان استقراؤهم يشمل مع الجمع الوصف والتنوع.

وهذا يستلزم– في مرحلة لاحقة– الوثوق في تعميم القواعد القائمة على هذا الاستقراء، وصدق النظام المفسر له.

يمثل هذا تمثيلاً تامًا قول ابن جني: « فإن قلت: زعمتَ أن العرب تجتمع على لغتها فلا تختلف فيها، وقد نراها ظاهرة الخلاف... قيل: هذا القدر من الخلاف لقلته ونزارته محتقَرٌ غير محتفلٍ به، ولا معيج عليه، وإنما هو في شيء من الفروع يسير، فأما الأصول وما عليه العامة والجمهور، فلا خلاف فيه ولا مذهب للطاعن به... ومع هذا

---

(١٩) السابق، ص ٤٥.

(٢٠) الخصائص، ١/ ٣٤.

(٢١) العربية والفكر النحوي، ١١.

النظام النحوي للعربية من الاستقراء إلى الشمول والثبات

إعداد

د/ محمد بن ردّة بن عطية اللّه العُمري

جامعة أم القرى- الكلية الجامعية بالقنفذة

«فأصول النحو: السماع والقياس والتعليل عند نحاة العرب مزجت بين الوصفية والمعيارية، حيث تتمثل الوصفية في السماع، وتصنيف المادة اللغوية المسموعة، في حين تتمثل المعيارية في القياس والتعليل؛ ليلحق غير العربي بأهل العربية، وانتهى ذلك إلى وصف نموذج نحوي للغة العربية»[١٦].

وبالتالي فقواعد النموذج النحوي هي تمثيل موجز للغة، ومع ذلك فهذه القواعد كفيلة بأن تنتج عند القياس عليها نصوصًا لغوية تتفق بنيتها مع البنية النحوية للنصوص التي أنتجتها السليقة وحدها، قبل أن تُكتشف القوانين النحوية، ويُجرد النموذج النحوي.

لقد تجاذب بداية الدراسات النحوية جانبان من النظر إلى طبيعة اللغة وفق الغاية التي كان يرومها النحويون.

ففي الجانب الأولى:

كان كلام العرب المحتج بلغتهم، الموثوق بلسانهم هو القياس، ونمطه هو معيار الصحة الخطأ؛ لذا كان على النحوي- والأمر كذلك- ألا ينظر إلى تعليل ولا إلى تجريد، بل يتجه همه إلى الرواية والنقل والقياس على ما يسمع، وجعله نموذج الفصاحة الأوحد، يشهد لذلك ما يروى من تغليط عبد الله بن إسحاق الحضرمي للفرزدق في مواضع من شعره[١٧]، وتلحين تلميذه عيسى بن عمر الثقفي للنابغة في بعض أشعاره[١٨].

أما الجانب الآخر:

فتوسيع القياس، ووصف الظواهر اللغوية، ونقلها وقبولها، حتى إن لم تكن خاضعة لمبدأ الاطراد.

ويمثل هذا الجانب أبو عمرو بن العلاء، تلميذ الحضرمي، وهو أعظم رواة البصرة، وأكثرهم علمًا بالقبائل، وأشعارها وأنسابها، وهو أيضًا من أصحاب القراءات، وكان يرى القياس على الأكثر الأشيع، ويقبل ما خالفه، ويعتبره لغة خاصة، كما يعده عربيًا فصيحًا، فقد كان يقول عن منهجه:

---

(١٦) العربية والفكر النحوي، ممدوح عبد الرحمن، دار المعرفة الجامعية، ١٩٩٩ م، ص ٥٢.

(١٧) طبقات النحويين واللغويين، الزبيدي، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف، ط٢،ص٣٣.

(١٨) طبقات النحويين واللغويين، ٤١.

من الاشتراك إلى التعميم

تقرر معنا فيما سبق أن النحويين تتبعوا كلام العرب من منابعه الأصلية؛ لغاية بعيدة ونفيسة في الوقت نفسه، فإذا سلمنا بأن غايتهم أن يضعوا معايير وقواعد لهذه اللغة المجموعة، فإن ذلك ليس بالشيء اليسير، ولا يمكن أن يكون الوصول إليه سهلاً، ولا التفكير فيه قد جاء دفعة واحدة؛ لأن الغايات مبنية على التصورات.

ومن اليقين أن غاية الحفاظ على لغة القرآن من اللحن والانحسار لا يتصور معها اقتران وضع النظام الكامل للعربية في المرحلة ذاتها، ولا حتى تصور علم النحو علمًا قادرًا على ضبط هذه اللغة، ووضع حدودها وقوانينها، لكن النحويين- وبتوفيق من الله تعالى وتيسير منه- نظروا إلى كلام العرب المحتج به، فوجدوه فوق أن يحاط به، أو أن يستقرأ كاملًا، فلم يكن أمامهم- والأمر كذلك- إلا أن يجتهدوا في أن ينظروا في عينة من العربية موثوقة النسبة إلى أهلها، قادرة على أن تمثل ما سواها مما لم يصل النحويون إلى الإحاطة به، فيستخلصون من هذه العينة معايير وقواعد يمكن القياس عليها « فنظر النحاة في اللغة العربية، فبنوا القواعد على الأكثر، ثم جردوا أصولًا نظرية شدّوا فيها من أزر القواعد، فجعلوا لكل باب نحوي أصلاً عامًا ينتظم ظواهره كافة »[١٤].

والنحويون في مدراستهم اللغة المحتج بها لم يقفوا عند مجرد الجمع والتكثّر، بل انصرفوا- بعد أن اطمأنوا إلى كفاية ما جمعوه- إلى تصنيفه والموازنة بين تراكيبه، والمقابلة بين استعمالاته؛ ليصلوا في نهاية الأمر إلى استخلاص واكتشاف الأصول التي صدر عنها العرب أصحاب السليقة الفصحى.

وهم في ذلك يعتقدون أشد الاعتقاد أنهم يصدرون عما صدرت عنه العرب، ويعللون بما كان في مراد العرب، حتى جزم ابن جني بـ« أن العرب أرادت من العلل والأغراض ما نسبناه إليها وحملناه عليها »[١٥].

ولعل محاولة الأنباري في (أسرار العربية) تنم عن محاولة ظاهرة تقوم على ما ذكرناه من غاية النحويين في النظر إلى الأصول والعلل التي صدر عنها أصحاب هذه السليقة.

---

(١٤) نظرية الأصل، والفرع في النحو العربي، حسن خميس الملخ، دار الشروق، عمان، الأردن، ط،٢٠٠٠م، ص ٢٥.

(١٥) الخصائص، ١/ ٢٣٧.

بيئة قيام الدراسة النحوية

من المؤكد أن وضع علم النحو العربي لم يكن مرتبطًا بالأحداث الفردية التي امتلأت بها كتب أصول النحو وتاريخه، فليس اللحن وحده وراء قيام هذا الجهد العلمي الكبير، ولا الخوف من تفشيه كافيًا لأن تقوم كل تلك الجهود العظيمة المدفوعة بهمم لا تعرف الكلل، ولا تقف عند صعوبة البحث ومشقة التعلم.

لقد تضافرت في بداية قيام الدرس النحوي عوامل عدة، كانت بمجموعها أبعد أثرًا وأعمق تأثيرًا في نشأة النحو، انطلاقًا مما فرضته الظروف العامة المحيطة بهذه العوامل.

ولو اكتفينا بالقول إن الجزئيات الفردية، والحوارات اليومية كانت كفيلة بقيام هذا الجهد العظيم، والإرث المتجدد التليد، لحكمنا عليه بسذاجة البدايات، وانتقصنا في نهاية المطاف هذا الجهود واستقللناها.

إن مرامي نشأة النحو العربي ووضعه خاصةٌ، والدراسات التي قامت عليها ومن أجلها أعظم من أن تكون نتيجة لحدث عارض أو غاية سهلة.

ولعل التساؤل الذي يؤكد لنا هذه النظرة، هو أين كانت هذه الأحداث والدوافع والغايات قبل نزول القرآن الكريم وتكوّن المجتمع الجديد القائم فكريًا وعقديًا على ما جاءت به خاتمة الرسالات السماوية؟!

وللإجابة عنه نستطيع القول: إن مجموع العوامل الدينية والاجتماعية والفكرية هي الدافع الأساس والأشمل لقيام الدراسات النحوية، بل ولقيام مجمل الدراسات على اختلاف علومها، فالنحو من العلوم التي نفهم بها النص الذي نستمد منه عقيدتنا، وهو من العلوم التي نشأت لخدمة النص والعقيدة، ولم يكن قبلهما علمًا كاملًا مستويًا على سوقه.

لذا فإن قضية نشأة الدراسات اللغوية عند العرب تتجاوز أخطاء بعض المتكلمين، واللحن المسموع، الذي لم يكن إلا ظاهرة جزئية تصور مشاكل لغوية أخرى، ولّدتها ظروف تكون المجتمع الإسلامي، وتداخل مكوناته، وتعدد متطلباته الاجتماعية والدينية.

«ذلك أن الدين والمعتقدات الدينية- دائما- هي أهم عناصر تكوين الأمم، إذ تبدأ مع كل مبدأ ديني جديد حضارة جديدة»[1].

(1) مدخل إلى تاريخ النحو العربي، على أبو المكارم، دار غريب، ٤٣.

العرب»[9]، فالاستقراء سابق بلا شك على استخراج قوانين اللغة المستقرأة.

وهذا ما جعل أبا علي الفارسي يقرر أن النحو « علم بالمقاييس المستنبطة من استقراء كلام العرب »[10]، فالمقاييس ضوابط، مادتها كلام العرب المجموع بالاستقراء، وعند ابن عصفور نجد شرحًا واضحًا لطبيعة العلاقة بين الاستقراء والقوانين النحوية من جهة، وكيفية استنتاج هذه القوانين والغاية منها من جهة أخرى، فالنحو عنده « علم مستخرج- بالمقاييس المستنبطة من استقراء كلام العرب، الموصلة إلى معرفة أحكام أجزائه التي يتألف منها »[11].

إذًا كانت مهمة النحويين بعد جمع اللغة من أفواه أهلها، حفظ ما جمع منها، ثم تدوينه، وهم في استقرائهم هذا اكتفوا بالاستقراء الناقص، الذي تغني فيه الأمثلة المحدودة عن استقراء التعداد، الذي يُدَّعى فيه الحصر، وهم مع ذلك لا يعتمدون إلا ما تواتر في السماع، حيث لاحظوا في بداية ممارساتهم الاستقرائية أن الجمل التي نطقتها العرب لا يمكن حصرها حصرًا عامًا، فاكتفوا بما سمعوه، وبعد أن انتهوا من أهم خطوات الاستقراء، شرعوا في بناء القواعد بعد أن لاحظوا «تكرار الثوابت المتعلقة بالكليات أو الجزئيات في نظام اللغة والتركيب، مثل تغير أواخر الكلم بتغير موضع المفردات في التركيب، وأنواع الأساليب، وطبيعة أنماط الجمل، وبعض القضايا الخاصة بالموقع النحوي، وكثيرًا من خصوصيات الفعل أو الاسم أو الحروف... »[12].

وهم بذلك قد وصلوا إلى أولى مراحل المهمة الثانية التي كانوا يتغيونها، وهي تعليم اللغة؛ بوضع الأطر العامة لنظامها « من خلال وقوفهم أمام ما جمع من اللغة، ومراقبته مراقبة دقيقة، تكشف عما يلحقه من تغير في المواقف المختلفة، والحالات الكلامية المتباين وتحصر ذلك التغير في حدود مضبوطة لا يند منها شيء »[13].

(9) الأصول، ابن السراج، تحقيق عبد الحسين الفتلي، مؤسسة الرسالة: ١/ ٣٧.

(10) التكملة، الفارسي، تحقيق ودراسة د. كاظم بحر المرجان، عالم الكتب: ١٦٣.

(11) المقرب ومعه مثل المقرب، ابن عصفور، تحقيق عادل عبد الموجود وعلي محمد معوض، دار الكتب العلمية، ٦٧.

(12) القاعدة النحوية تحليل ونقد، د. محمود حسن الجاسم، دار الفكر، ٥٨.

(13) اللغة والنحو بين القديم والحديث، عباس حسن، دار المعارف بمصر، الطبعة الثانية،(د.ت)،ص٢١.

إذًا نشأت الدراسات اللغوية بالدرجة الأولى نتيجة احتياجات عملية، متصلة اتصالًا وثيقًا بالقرآن الكريم، وتفهّم أحكامه، وتعلّم لغته لمن دخل في الإسلام من غير العرب.

وغير خافٍ أنه «لم يحدث حدث في تاريخ اللغة العربية أبعد أثرًا في تقرير مصيرها من ظهور الإسلام، ... عندما رتل محمد ﷺ القرآن على بني وطنه بلسان عربي مبين، تأكدت رابطة وثيقة بين لغته والدين الجديد، كانت ذات دلالات عظيمة النتائج في مستقبل هذه اللغة»[٢].

وقد دفع ارتباط هذه اللغة بكتاب الله، ثم حرصُ العرب عليها، واعتزازهم بها إلى دراستها دراسة جادة، فنظروا إليها نظرات علمية عميقة شاملة، يعينهم على ذلك كله إيمانهم بقيمة خدمتها، فكانت غايتهم « فهم اللغة، وتعلمها، وذلك يقتضي الحرص على مثالية اللغة في مستواها العادي المألوف »[٣].

فوضع النحويون نصب أعينهم المستوى اللغوي الفصيح الممثل للنمط الأعلى من اللغة، والمتمثل بما هو مشترك بين الجماعة اللغوية التي لها صفة الاستقلال زمانًا ومكانًا عن غيرها؛ ولذا وجدوا أن دراسة هذا المستوى يجب أن تكون معيارية، تحكم على ما يجوز ومالا يجوز في لسان الجماعة، فالغاية جماعية لا فردية استقلالية.

وقد تمثلت التجربة النحوية الأولى في جمع العينة اللغوية، وتجريد خصائصها، وبناء الفرضيات، ثم البرهان على كفايتها، ويتمثل ذلك في إلحاق الكلام العربي الفصيح بالقاعدة النحوية شاهدًا على صحتها[٤].

وعلى وجه الإجمال كانت « الفكرة الموجهة للنحويين ولاسيما المحققين... هي إدراك اللغة كما هي في واقعها على ألسنة أهلها الذين ينطقون بها على سجيتهم، ومن ثم فإن ما ثبت عندهم شذوذه يلتزمون أن ينطقوا به كما نطق العرب، ولكنهم لا يسوّغون أن يُجعل هذا الشاذ، أصلاً يقاس عليه »[٥].

(٢) العربية دراسات في اللهجات والأساليب، يوهان فك، ترجمة: رمضان عبد التواب، مطبعة الخانجي، ١٣.

(٣) الأبعاد المعنوية في الوظائف النحوية، أسامة كامل جرادات، دار الفرقان.

(٤) رؤى لسانية في نظرية النحو العربي، الدكتور حسن خميس الملخ، دار الشروق عمان، الأردن،ط١، ٢٠٠٠م،ص٢٠.

(٥) القياس في النحو، منى إلياس، دار الفكر المعاصر، ١٩٨٥م، ص ٨١.

وهذا ما يجعلنا ندرك –لاحقًا– أن الأصول النحوية ليست في أصلها إلا عادات كلامية، أو ظواهر لغوية خاصة يخضع لها النحو، ويفسر بها.

على سبيل المثال نجد أن « العامل نظرية تفسيرية تعليمية، تفسر التغير الإعرابي، وتساعد في تعلم النحو الذي نظر إليه منذ نشأته على أنه أوضح الطرق لوصف اللغة وتعليمها معًا »[٦].

ولعله من الواضح الصلة الوثيقة بين وصف اللغة وتعليمها، وهما غايتان لا تنفكان عن دراسة العربية وإضفاء العلمية على هذه الدراسة، حين نقرر أن منهج هذه الدراسة كان يتجاوز التصنيف الوصفي إلى التنظير والتفسير، وبالتالي وضع نظرية توجيهية لما هو قائم، مفسرةٍ له، ثم هي معيار لما يقاس عليه، ويحتذى نمطه.

من الاستقراء إلى التحليل

كان النحويون في بدايات الدراسات النحوية يرون أن المتكلمين « ليس لهم أصول يراجعونها، ولا قوانين يعتصمون بها، وإنما تهجم بهم طباعهم على ما ينطقون به »[٧].

فكانت المهمة الأولى للنحويين هي جمع اللغة من أفواه أهلها، وتتبع كلام العرب من منابعه الأصلية، وقد سلكوا في ذلك–وفقًا لسنة التدرج، ومقتضى تنامي الجهود في سبيل تحقيق غايتي الوصف، والتعليم– السبل الكفيلة بسلامة لغة من يأخذون عنهم، اعتناءً بجوهر هذه اللغة في مرحلة محددة، ثم استقراء النصوص التي يمكن أن تستخلص منها أحكام هذه اللغة وقواعدها؛ ليصلوا بعد دراسة هذه النصوص إلى إقامة النظام العام لهذه اللغة الشريفة

لقد كان العرف العام عند الجمهور أخذ اللغة عن العرب الخلّص أصحاب اللغة السليمة «وبالجملة لم يؤخذ عن حضري قط، ولا عن سكان البراري ممن كان يسكن أطراف بلادهم المجاورة لسائر الأمم الذين حولهم، ولا عن البدو الذين كانوا يترددون على الحواضر»[٨].

وليس أدل على قيام النظام النحوي للغة العرب على الاستقراء مِنْ جعل النحويين النحو هو الاستقراء نفسه؛ فهذا ابن السراج يرى أن النحو « علمٌ استخرجه المتقدمون من استقراء كلام

(٦) اللغة والتفسير والتواصل، مصطفى ناصف، المجلس الوطني للثقافة والفنون، الكويت ١٩٩٥ م. ص٢٦٠.

(٧) المزهر، السيوطي، ضبطه وصححه فؤاد علي منصور، توزيع مكتبة الباز، مكة المكرمة، ط١، ١٤١٨هـ، ٢/ ٢٤٨.

(٢)السابق:١/ ٢١٢.